مجلة جامعة دمشق للدراسات التاريخية

اسم المقال: عمارة التحصينات في سورية القديمة
اسم الكاتب: د. جمال كامل تموم
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/index.php/library/10398
تاريخ الاسترداد: 2026/11/01 05:56 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة دمشق للدراسات التاريخية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

مجلة جامعة دمشق للدراسات التاريخية
المجلد 147 العدد 4 (2023): 35 - 50

Damascus University Journal of Historical Studies
Vol. 147 No. (2023): 35- 50

عمارة التحصينات في سورية القديمة

د. جمال كامل تموم[1]

[1] الجامعة الدولية الخاصة للعلوم والتكنولوجيا.

الملخص:

ظهرت الجدران والتحصينات في العمارة خلال العصر الحجري النحاسي كدليل في العمارة الحضرية. وظهرت بعض أنواع التحصينات قبل هذا التاريخ في أريحا وتل الصوان. لكن هذه العمارة لم تعطي طابعًا دائمًا لهذا العصر. ارتبط تطور المدن بوجود التحصينات كأساس في هندستها المعمارية (حموكار، تل براك، حبوبة وغيرها). بالإضافة إلى ذلك، كانت هناك تحصينات داخل المدينة، في منطقة القصر والمعبد، حيث تم تحصينها وعزلها عن المنطقة المنخفضة. وتوجد سواتر ترابية على ارتفاعات عالية تفصل بينها مسافات عن السور الذي تكونت أساساته من الحجارة ثم تطورت مع تطور مخططات المدن من الشكل الدائري إلى الشكل المتعدد الأضلاع خاصة مع بداية عام 2000 قبل الميلاد. باستثناء مدينة ماري التي حافظت على شكلها الدائري.

الكلمات المفتاحية: الأسوار، التحصينات، السواتر الترابية، الأبراج، النظام الدفاعي.

تاريخ الايداع: 2023/5/2
تاريخ القبول: 2023/6/25

حقوق النشر: جامعة دمشق – سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب **CC BY-NC-SA**

ISSN: 2789-7478 (online)
http://journal.damascusuniversity.edu.sy

The Architecture Of Fortifications In Ancient Syria

Dr. Jamal Kamel Tamoum [1]

[1]The International University for Science and Technology
Mail: Jamaltamoum8@gmail.com

Abstract:

Walls and fortifications appeared in architecture during the Chalcolithic period as evidence in urban architecture. Some types of fortifications appeared before this date, and these fortifications appeared in Jericho and Tal Al Sawan. But this architecture did not give a permanent character to this era. The procession of cities was linked to the presence of fortifications as a basis in their architecture (HamoKar, Tel Brak, Habouba and others). In addition, inside the city there were fortifications, in the area of the palace and the temple, where they were fortified and isolated from the low area. And there are earthen berms at high heights separated by distances from the wall whose foundations are made of stones and then developed with the development of city plans from circular shape to polygonal shape, especially with the beginning of 2000 BC. With the exception of the city of Mari, which has preserved its circular shape.

Received: 2/5/2023
Accepted: 25/6/2023

Copyright: Damascus University- Syria, The authors retain the copyright under a CC BY- NC-SA

Key Words: Walls, Fortifications, Earth Mounds, Towers, Defensive System**.**

المقدمة:

ظهرت الأسوار والتحصينات بشكل واضح في العمارة خلال العصر الحجري النحاسي وتجلى ذلك في عمارة المستوطنات التي تعود إلى تلك الفترة وإن كانت قد ظهرت أنواع هذه العمارة قبل هذا التاريخ في أريحا وتل الصوان، لكن هذه الأنواع من العمارة لم تأخذ صفة دائمة.

والتحصينات هي مجموعة التشكيلات المعمارية والعناصر الطبيعية التي تشكل النظام الدفاعي للمستوطنات من القرى والمدن ضد هجمات الأعداء وحصر الدخول والخروج منها عن طريق البوابات ضمن الأسوار وتشمل: الخنادق والأسوار والجدران والأبراج. وارتبط ظهور المدن بوجود هذه التحصينات والأسوار كأساس في عمارتها مثل تل مشنقة ومستوطنتي حموكار وتل براك في شمال شرق سورية وحبوبة الكبيرة وغيرها من المدن التي ظهرت في هذه الفترة، زد على ذلك فقد كانت في داخل المدينة تحصينات في المنطقة التي شيّد فيها المعبد والقصر الملكي لعزل هذه المنطقة عن المنطقة المنخفضة، وأقيمت السواتر الترابية بارتفاعات عالية تفصلها مسافات عن السور الرئيسي الذي تكون أساساته من الحجارة غالباً، ثم تطورت أشكال هذه الأسوار مع تطور أشكال المدن مثلاً من الشكل الدائري إلى الشكل المضلع خاصة مع بداية الألف الثاني قبل الميلاد في سورية القديمة، باستثناء مدينة ماري التي حافظت على شكلها الدائري، كونها منذ البداية أسست بشكل واسع استوعب كل التطورات التي حصلت في الفترات اللاحقة.

1 – الأسوار والتحصينات في عصور ما قبل التاريخ:

انتشرت القرى الزراعية في المشرق العربي القديم منذ بداية العصر الحجري الحديث، واختلف تصميم هذه القرى، منها ما كانت بيوتها متلاصقة، ومنها ما كانت على صف واحد دون أن تكون متلاصقة، لكن هذه القرى لم تشهد نظام التحصين بشكل عام، إذ ظهرت التحصينات بشكل واضح في العصر الحجري – النحاسي، لتأخذ الشكل المثالي واللازم في التصاميم المعمارية خلال عصر التمدن وظهور السلطات التي تنظم عمل المجموعات الكبيرة للقيام بهذه الأعمال الضخمة.

لكن هذا لم يمنع وجود بعض التحصينات والأبراج من عصور أقدم، فقد ظهر في العصر الحجري الحديث في أريحا في فلسطين نوع من العمارة ذات دلالة، وهي برج كبير من الحجارة ربما كان جزءاً من سور حجري ضخم يحيط بالموقع ويحيط به من الخارج خندقاً محفوراً في الصخر بعرض ثمانية أمتار وبعمق يزيد عن المترين، ويرتفع في أحد الأماكن إلى ستة أمتار، ويبلغ قطر السور عند القمة نحو تسعة أمتار، ويمكن الوصول إلى القمة عن طريق درج داخلي مكون من 28 درجة، كل واحدة منها كتلة منفردة من الصخر، يبلغ عرضها أكثر من متر، ويتم الوصول إلى هذا الدرج من المستوطنة داخل السور، وشيّدت من جهة الجانب الشمالي من البرج سلسلة من الحظائر المنحنية الأضلاع على شكل قناة تصريف، وهناك حنية في الجانب الجنوبي قد تكون استخدمت مخزناً للحبوب (أوتيس ، 1989، صفحة 154).

وبدأت تظهر التحصينات بشكل واضح خلال العصر العُبيدي، بعد منتصف الألف الخامس ق.م، فمن المنجزات الهامة في هذا العصر بناء القرى المسورة لمواجهة المشاكل الخارجية وأطماع وغزوات مستوطنات معاصرة وأسباب مختلفة، ففي تل مشنقة كشفت التنقيبات سور ضخم وتحصينات دفاعية لدرء خطر الفيضانات وقد غاب الجزء الأكبر من هذا السور بسبب تآكل التل في الجزء الداخلي لجدار التسييج الذي تبلغ سماكته 3،5 م، وفي مكان فارغ عثر على جرة مكسورة مهشمة تحتوي على بقايا حبوب شعير

(Beyer , 1997, pp. 161- 169). وهناك سلسلة من الأبواب المفتوحة باتجاه الخارج مما يؤدي إلى فرضية احتمال قيام جدار ثانٍ يلتف حول الأول (دومينيك، 20–25 نيسان، الصفحات 247–251).

2- التحصينات في عصر فجر التاريخ:

تطورت العمارة في هذا العصر وبدأت تتحول التجمعات القروية إلى مدن مسورة، وتظهر مجتمعات منظمة من حيث الإدارة في التنظيم العمراني والاقتصادي والاجتماعي، وتدار هذه المنشآت من قبل سلطات مركزية قوية، اقتضى ذلك قيام أسوار وتحصينات ، ومثال ذلك، تل حموكار وتل براك الذي تميز بالعمارة الضخمة وتجمع سكاني يمثل مستوطنة هامة، استفاد السكان من الموقع الاستراتيجي لهذا التل الهام، فكان لهذه المستوطنة سورها المحيط الضخم وأيضاً بوابة ضخمة، مما يؤكد وجود مدينة داخل هذا السور (Matthews, 1998, pp. 77-79). وأظهرت التنقيبات في تل حمو كار أن المدينة وصلت مساحتها إلى 13 هكتار في فترة أوروك المتأخرة (3500–3000 ق.م) وأحاط المدينة سوراً دفاعياً من اللبن (المنطقة **B**) وبلغ عرضه (4 متر) وارتفاعه أكثر من ثلاثة أمتار (Gibson , 2002, pp. 64-68).

تميزت أوروك في الألف الرابع قبل الميلاد بسورها الضخم الذي أحاط بالمدينة، كما كشف فيها مجمع ديني محاط بسور ضخم أيضاً، استخدم في بنائه تقنية جديدة غير معروفة سابقاً، وذلك بوضع طبقات من المونة الكلسية والطينية تربط الجدران بعضها ببعض، ونفذت على جدرانه نتوءات وأعشاش متناظرة أعطته منظراً جميلاً، وزينت واجهة السور الخارجي مسامير طينية ملونة شكلها مخروطي وهي التي أعطت المعبد اسم ذو الأحجار المخروطية. وهناك مواقع تعود إلى فترة أوروك المتأخرة في سورية مثل حبوبة الكبيرة وعاروديا وتل قناص وتل الشيخ حسن وتل براك والتي قامت فيها مدن مسورة فاقت أسوار أوروك وأهمها:

2–1–التحصينات في حبوبة الكبيرة: بنيت هذه المدينة وفق مخطط مسبق، ودلت التنقيبات الأثرية التي جرت في موقع حبوبة الكبيرة، أثناء بناء سد الطبقة على نهر الفرات منشآت معمارية تعود إلى فترة أوروك النصف الثاني من الألف الرابع قبل الميلاد، فقدمت هذه المدينة تنظيماً معمارياً أفضل وأوضح عمارة تعود إلى هذا العصر ومنها تحصيناتها التي أحيطت بسور ضخم عرضه 3 م، لم يبق منه سوى أساساته التي تدل على ضخامة وتقنية بنائه العالي. يحمي هذا السور المدينة من الشمال والغرب، بينما يحميها من الشرق نهر الفرات، أما من الجنوب فلم يعثر على أثر للسور إذ تهدم منذ آلاف السنين وتحولت أنقاضه إلى تربة زراعية لا يمكن تمييزها عن تربة الحقول المجاورة (أبو عساف، 1988، صفحة 140). بلغ طول الجزء المكتشف من السور الغربي نحو 54م وهو على استقامة واحدة من الشمال إلى الجنوب، وفيه بوابتان كبيرتان تسهلان الدخول إلى المدينة بين الزاوية الشمالية الغربية والبوابة الشمالية تسعة أبراج يبعد الواحد عن الآخر مسافة (13.5 م)، ومثلها بين البوابتين، وحتى يتحقق التناظر فقد افترض المهندسون وجود تسعة أبراج عالية بين البوابة الجنوبية والزاوية الجنوبية الغربية، ومن المرجح أن يكون مثل هذا العدد في كل من الضلعين الشمالي والجنوبي. تبلغ أبعاد البرج (3.5×5.5 م)، ويحوي كل برج حجرة. وقد اتضح من أساسات البوابات أنها بنيت وفق مخطط واحد، وتتألف البوابة من غرفة مستطيلة (13 ×3.5 م) تغلق بأبواب ذات مصراعين ويحيط بها متراسان أو برجان، لواحد منهما فقط باب يفتح على الممر البرج الشمالي في البوابة الشمالية، والبرج الجنوبي في البوابة الجنوبية، أما مداخل البرجين الآخرين فمن خارج البوابة. أمام هذا السور تمتد أساسات سور آخر بعرض (60 سم×70 سم)، أضعف من السور الرئيس، ويبعد عنه عشرة أمتار، وقد كشف عن بعض أقسامه في الغرب (Strommenger , 1980).

امتاز سور حبوبة عن سور أوروك بزواياه القائمة بينما سور أوروك دائري، إضافة إلى أن سور حبوبة أفضل حفظاً ووضوحاً (الشكل1).

وفي تل الشيخ حسن إلى الشمال من حبوبة عثر في الطبقة المعاصرة إلى حبوبة بقايا أسوار، فقد أحيط كغيره من مستوطنات الألف الرابع بسور كبير بداخله أحياء المدينة من شوارع وبيوت السكن وقصر ومعابد ومشاغل. كُسيت واجهات السور الشمالية بالحجر والأبراج لحمايته وتقويته، وهو يشبه سور حبوبة، لكنه تعرض إلى التخريب بشكل كبير وزالت أكثر معالمه ولم يبق منه إلا البوابة وأجزاء قليلة منه.

وفي جنوب سورية تجمعات سكانية منظمة محاطة بأسوار دفاعية مثل خربة الأمباشي والهبارية.

3- الأسوار والتحصينات في الألف الثالث ق.م:

زاد الاهتمام بإقامة التحصينات خلال عصور البرونز وقيام الثورة المدنية الثانية وساد خلال الألف الثالث ق.م، نظام من التحصينات عُثر عليه في عدة مواقع أثرية سورية ضمت بقايا مدن دائرية مستديرة مثل تل بيدر، فقد أحيطت المستوطنة بسورين داخلي وخارجي، شُيدا من اللبن وبلغ عرض السور الداخلي (5م)، وظهرت مواقع في منتصف عصر البرونز القديم، بعضها استمر لفترة قصيرة، مثل:

3-1 تل الروضة: يقع على أطراف البادية السورية على بعد 80 شرق مدينة حماه، ضمن منطقة سهبية مناسبة للسكن والزراعة البعلية، سُكنت المستوطنة نحو العام 2500 ق.م، وهجرت نحو العام 2200 ق.م، بلغت مساحتها (16 هكتار) كمستوطنة دائرية محصنة (الشكل 2). وأظهرت الحفريات التي جرت في منطقة التحصينات (القطاع **2c**) أن المدينة كانت محمية بأربعة خطوط دفاعية : حاجز ترابي، جدار أمامي ، وخندقين (كاستل و عوض، 2017، صفحة 131)، تشكل طوقاً حول المدينة، شغلت هذه التحصينات مساحة واسعة من المساحة الإجمالية للمدينة. المسافة بين السورين الداخلي والخارجي مسافة 10 م. يخترق هذه التحصينات خمسة بوابات بني معظمها وفق الطراز السائد المعروف خلال الألف الثالث وهو نظام البوابات المحصنة بالأبراج كما في البوابة الشمالية التي بنيت على قاعدة من الحجر ولها باب بين برجين بلغ عرض مصراعه (3 م)، أما البوابة الشرقية المحاطة أيضاً ببرجين دفاعيين فلهما بابان ولكل من هذه الأبواب ردفتان يتم الوصول إليها عبر رصيف مائل من خارج المدينة. وهناك البوابة الجنوبية والغربية فقد بنيت في عرض السور وهي تشبه البرج المتقدم عن الأسوار ولها أيضاً باب خارجي وباب داخلي (التونسي ع.، 2022، صفحة 108)، عملت جميع تلك العناصر المختلفة معاً على تحصين المدينة وحمايتها، حمى الحاجز الترابي التل حتى نهاية السكن في المدينة عندما لم تعد التحصينات الأخرى موجودة (كاستل و عوض، 2017، صفحة 131).

3-2 مدينة ماري (تل الحريري) تميزت المدينة ببنائها وبتصميم دائري مسبق وكانت محاطة بسورين من جميع جهاتها، وعموماً تطور النظام الدفاعي للمدينة مع تطورها على ثلاث مراحل وفي كل مرحلة كان يتم إضافة تعديلات على الأسوار لزيادة تحصينها ، تتكون قاعدة السور من الحجر والجزء الأعلى من اللبن، سماكة الجدار الخارجي (6 م)، وارتفاعه (8 م)، وكان مزوداً بأبراج دفاعية وبوابات للدخول إلى المدينة وهو مزود بالأبراج، وتتخلله الأبواب، تفصل بين السورين مسافة (300 م)، وتتخلل السور الخارجي فتحات تسمح للجند بإطلاق السهام أو صب الزيت الحار على القوات المهاجمة، كل هذه التحصينات لم تمنع الملك البابلي حمورابي من اقتحامها سنة 1761 ق.م، وأمر بهدم أسوارها بعد سنتين من ذلك التاريخ، نتيجة محاولتها على ما يبدو التخلص من السيطرة البابلية (مرعي، 2021، صفحة 281) (الشكل3) .

3-3 تل حلاوة : يقع في حوض الفرات الأوسط في الألف الثالث ق.م قدّم دليلاً باكراً على التنظيم العمراني، حيث احتل التل بلدة محصنة، اعتبرت أسوارها أساس طراز التحصينات التي تطورت وشاع استخدامها فيما بعد في بلاد الشام وهو النظام المسمى الكازميت (التونسي ع.، 2022، صفحة 61) وتتألف هذه التحصينات من جدارين متوازيين يحصران بينهما مساحة قسمت بجدران متعامدة مع الجدارين الأساسيين إلى غرف صغيرة مربعة الشكل غالباً، تبلغ أبعادها نحو (1.5 ×1.5م)، ملئت هذه الغرف بالركام الأقل كلفة قياساً إلى كلفة تشكيل اللبن أو نحت الحجارة (التونسي و.، 2013-2014، صفحة 106). تدل هذه التحصينات الباكرة على أهمية تل حلاوة **(B)**، على الرغم من صغر حجمه، كما تدل على تنظيم العمل الجماعي والتخصص الوظيفي والتوجس من أخطار خارجية. وفي تل حلاوة أيضاً **(A)** ، الواقع إلى الجنوب من حلاوة **(B)**، بني الموقع على مصطبة ضيقة ومرتفعة، ينحدر طرفه الشرقي بشكل متدرج إلى النهر، بينما يحيط الوادي المجاور بطرفه الشمالي، بالتالي يكون قد حُصن طبيعياً، وعلى الرغم من ذلك كان الموقع محصناً بسور مبني من اللبن ومدعماً بالأبراج ومسبوقاً بساتر دفاعي، أيضاً يبلغ عرض السور 3.6 م، دُعم هذا الجدار في مرحلةٍ لاحقة بالأبراج البارزة عن طرفه الخارجي والمتباعدة عن بعضها بمسافات موحدة تقريباً أما الساتر الدفاعي فقد أضيف في نهاية عصر البرونز القديم (التونسي ع.، 2022، صفحة 63).

4- الأسوار والتحصينات خلال الألف الثاني ق.م:

حصل مع بداية الألف الثاني تطور في تصميم ومخططات المدن والانتقال من التصميم الدائري الذي ساد خلال الألف الثالث قبل الميلاد والتوسع في مخططات هذه المدن، باستثناء ماري التي أسست منذ البداية بمساحة واسعة وبقي محيطها دائرياً، فقد تم ترميم التحصينات الخارجية والداخلية بعد تدميرها من قبل الآكاديين في المراحل اللاحقة.

4-1- التحصينات في ألالاخ (تل عطشانة): حُصنت المدينة بسورين مشيدين من اللبن تفصل بينهما مسافة بحدود 4م، تعود إلى الألف الثاني قبل الميلاد وبلغ ارتفاع السور الخارجي 8م، دعم بمجموعة من الحصون والغرف المشيدة من اللبن عثر في إحدى الغرف على مدافن جماعية لأشخاص وأطفال ومستودعات للحبوب مما يشير إلى إقامة دائمة لحامية المدينة، وتم التعرف على أجزاء من السور من خلال بعض الأسبار التي قام بها المنقب ليونارد وولي **(Woolley L)** وتبين أن السور لم يأخذ الشكل الدائري حول المدينة، بل وفق الاحتياجات والضرورة، وشكل أحد جدران القصر الملكي جزءاً من هذا السور المتجه نحو الجنوب الشرقي (Woolley , 1955, p. 155).

وعثر في السوية **VII** على تحصينات بنيت على أساس جدار يتجه نحو الجنوب الشرقي حتى واجهة برج البوابة، وتم تجديد هذه التحصينات مرات عديدة بهدف تدعيم السور من الداخل (Woolley , 1955, p. 157).

4-2- التحصينات في قطُنة (تل المشرفة): تحوّل المخطط الدائري الصغير لمدينة العصر البرونزي القديم التي شهدت تحصينات بجدران من اللبن على أساسات حجرية وسواتر ترابية قبل الأسوار، وحلّ محله مخطط أكبر مربع الشكل مع تشييد نظام تحصين ضخم بساتر ترابي من الجهات الأربع ويبلغ ارتفاعه 20 م، وعرضه عند القاعدة بين 60 و80م، واشتمل على أبراج دفاعية تدعمه وتزيد من مناعته. حفرت في الساتر الترابي بوابات تحيط بمساحة واسعة نحو 110 هكتارات، يحرس كل بوابة عدد كبير من الرجال الذين يقيمون في مكان خاص بهم عند البوابة هو أشبه ما يكون بالحصن. لقد تم بناء تحصينات المدينة في بداية عصر البرونز الوسيط وتطلب بناؤها كميات كبيرة من الرمل والحجارة المستخرجة من الصخور المحلية، وتم بناء التحصينات الشمالية والغربية داخل الحيز الذي تشغله البحيرة حيث قسمتها التحصينات إلى قسمين: جزء صغير محجوز داخل المدينة كان

يُغذّيه ينبوع مياه عذبة على نحو متواصل موجود عند القاعدة الشمالية، وجزء أكبر شكّل نوعاً من الخزان المائي في أعلى المدينة، وهو الذي حجزته التحصينات الجنوبية والغربية وزاويتها الشمالية الغربية، وبالتالي كانت الأجزاء الرئيسة من مكونات هذه التحصينات تحتوي جزئياً على بقايا نباتات متحللة جزئياً بالمياه (فنون وآثار مملكة قطنا القديمة سبع سنوات من التعاون السوري – الإيطالي في موقع المشرفة/ قطنا).

لاتزال قطنة اليوم موقعاً جذاباً يحيط به خندقاً مربعاً مكتمل الأضلاع تقريباً وتحصينات بارزة. وما زالت التحصينات الترابية تنتصب على ارتفاعات من 15– 20 م، مسورة مساحة 110 هكتارات في حين تقتطع عدة بوابات أسوارها على الجهات الأربع (الشكل 4).

4–3–الأسوار والتحصينات في إبلا (تل مرديخ): نهضت المدينة من جديد بعد أن دمرت في الألف الثالث قبل الميلاد من قبل الآكاديين وأحيطت المدينة خلال الألف الثاني ق.م، بتحصينات خاصة مبنية من الحجر واللبن على شكل شبه منحرف غير منتظم (الشكل5)، أقيم سور المدينة على قاعدة حجرية قوية وساتر مرتفع من اللبن بارتفاع 20 م فوق مستوى السهول المجاورة و12 م فوق مستوى الأبنية وقد بني سور المدينة بحسب التصميم المعروف بالسور السفح (مرعي، 2021، صفحة 239)، و كانت تكسوه عند القاعدة حتى ارتفاع أربعة أمتار قطع حجرية كبيرة وتكسو طرفه العلوي طبقة من الطين والجص، يبدو إكساء الأسوار كان متبعا في المدن السورية خلال هذه الفترة، وتصل سماكته عند القاعدة إلى نحو خمسين متراً تقل تدريجياً باتجاه الأعلى (Matthae, 1980, p. 118)، اخترق السور أربعة بوابات متناظرة سميت بأسماء آلهة عبدها سكان إبلا، وأقيمت عدة منشآت دفاعية عليه كالمهاجع ومستودعات للعتاد في الجانب الداخلي والأبراج المربعة والمستطيلة الشكل من الجانب الخارجي أهمها البرج الغربي المؤلف من كتلتين معماريتين وطابقين، وتميز باحتوائه على غرفة ذات وظيفة دينية، والبرج الجنوبي والبرج الشرقي إلى الشمال من البوابة التي باتجاه البادية، في حين كان البرج الشمالي مرتبطاً مع البوابة باتجاه حلب.

4–4–التحصينات في مدينة أوجاريت (رأس الشمرة): يعود الاستيطان في رأس الشمرة إلى العصر الحجري الحديث، لكن أغلب الآثار المكتشفة تعود إلى العصر البرونزي الحديث. كانت التحصينات قوية ومتينة وكشفت الأبحاث الأثرية عن التخطيط العمراني الدقيق للمدينة بالإضافة إلى الأحياء السكنية وأماكن العبادة وأنها محاطة بسور بلغت سماكته 2،5 م، وقد شيّد على شكل منحدر شديد الميلان ومرصوف بالحجارة بكل عناية (الشكل 6)، وتدعمه الأبراج أهمها البرج الواقع في الجهة الغربية من المدينة قرب البوابة الرئيسية المحصنة وكان يستخدم بوصفه مستودعاً للتجهيزات العسكرية ومكان إقامة حامية المدينة. وقد اخترقت السور أربع بوابات.

وكثيراً ما قامت مستوطنات على أنقاض مستوطنات أقدم قد تصل إلى العصر الحجري الحديث، ففي تل الصبي الأبيض في محافظة الرقة وبعد عدة آلاف من السنين في أواخر العصر البرونزي الحديث بني مركز إداري آشوري مُحصن فوق سويات العصر الحجري الحديث 1230 –1180 ق.م، وتغطي مساحته 1 هكتار ويحتوي في مركزه حصن مدعم ضخم مساحته 60 ×60 مجاور لما يبدو أنه قصر. وتبين من خلال قراءة النصوص المسمارية المكتشفة في المركز أن هذا الحصن قد هُدّم سنة 1180 ق.م. (اكرمانز، 2018، صفحة 63).

5–التحصينات في الألف الأول ق.م:

اعتاد الآراميون منذ قيام ممالكهم على الصراع مع الآشوريين، لذلك كان عليهم الاهتمام بتحصين مدنهم وتشير الحوليات الآشورية والصور المرسومة على البوابات ففي بالاوات[1] إضافة إلى المنحوتات في القصور الملكية في المملكة الآشورية إلى أن المدن الآرامية كانت محصنة ومنيعة، فقد تم تمثيل مدينة دابيجو[2]على بوابات قصر شلمنصر الثالث المحاطة بسور مزدوج وأبراج للمراقبة، كما تظهر مدينة اشتاماك التابعة لمملكة حماه الآرامية وهي محاطة بجدار مزدوج أيضاً وله أبراج للمراقبة والدفاع. وبشكل عام بُنيت جدران المدن من اللبن على أساسات حجرية، إلى جانب الأبراج البارزة بغرض تقوية منظومة الدفاع كما في الجزء الجنوبي والقسم الأعلى من موقع حماة. وتُعد جوزن (تل حلف) الشاهد الأهم على آثار الآراميين العمرانية، فقد ظهرت مدينة محصنة بسور مستطيل (أبو عساف، 1988، صفحة 451). وأحيطت مدينة خداتو (أرسلان طاش) بسور بيضوي من اللبن فوق أساسات حجرية وفيه ثلاث بوابات تحرسها تماثيل الأسود (Edward, 2000, pp. 125-142). وفي تل رفعت وصل ارتفاع الجدار الداخلي 8 م وعرض 18 م. وأحيطت شمأل بصفين من الأسوار، وكانت تقوم في وسطها قلعة والقصور والمباني العسكرية والمعابد (موسكاني، 1986، صفحة 185).

وعثر في عشتروت التابعة لمملكة أرام دمشق (أبو عساف، 1988)[3] على جدار مزدوج مزود بأبراج، وكل من السور والأبراج مزودة بشرفات لإطلاق السهام. وتفيد النصوص أن دمشق صمدت أمام الغزوات الآشورية وقد يكون أحد أسباب هذا الصمود مناعة أسوارها التي لم يبق منها أثر، ومعروف أنها كانت دائماً تقود التحالف ضد التوسع الآشوري في سورية وتعرضت للكثير من غزوات الملوك الآشوريين، ولابد أنه كان لهذه الأسوار أبواب قوية محصنة للدخول والخروج صدت غزوات الملوك الآشوريين، وربما الأحجار القائمة الآن في سور دمشق هي ذاتها ولكن قد يكون تبدل موقع السور إلى الخارج أو الداخل.

وتميزت مستوطنة تل آفس في الشمال السوري بالقرب من بلدة سراقب، بقيام سور ضخم يحيط بالمستوطنة التي تضم المنشآت الدينية والبيوت والشوارع وورشات العمل اليومي والمباني الإدارية وقُدّر ارتفاع هذا السور بنحو المترين، وهو مُشيّد من الحجارة ورصف بشكل مساير للمنحدر مع خليط من الطين الصلصالي، وفي أسفل الجدار قناة لجمع مياه المطر كي لا يسبب أي ضرر للجدار والأبنية في أعلى التل (Mazzoni, 1999).

وفي كركميش (جرابلس) كانت القلعة في الجهة الشمالية الغربية من المدينة على تل مرتفع نحو أربعين متراً، وبني قصر الملك في أسفل التل، وكان بجواره في القرنين العاشر والتاسع قبل الميلاد معبد لإله الجو محاط بسور طويل تزينه تماثيل ومنحوتات كثيرة، وكان يحيط بالمدينة الداخلية سور قوي من اللبن سماكته خمسة أمتار يرتكز أحياناً على قطع صخرية ضخمة وأحياناً أخرى على جدار ترابي. وكان يحيط بالمدينة الخارجية حلقتان سميكتان من الأسوار بفاصل تسعة أمتار بينهما وبسماكة خمسة أمتار (مرعي، 2021، صفحة 338).

6-التحصينات خلال العصور الكلاسيكية:

تميزت التحصينات خلال العصور الكلاسيكية بسمات مختلفة، نظراً للظروف السياسية والطبيعية في كل عصر مما أثر في واقعها المعماري، ويمكن تحديد ثلاث مراحل مهمة مرت فيها هذه التحصينات وهي:

المرحلة الأولى: تمتد من بداية العصر الهلنستي في الثلث الأخير من القرن الرابع قبل الميلاد حتى نهاية القرن الأول قبل الميلاد. تميزت هذه المرحلة بإشادة المدن وكثرة الحروب، لذلك تطلّب الأمر تحصين المدن لتجنب الدمار ورد الغزوات التي تتعرض لها هذه المدن، إذ بلغ طول السور في مدينة أفاميا شمال غرب مدينة حماه بحدود 8 كم، مخطط المدينة مخطط هلنستي،

إذ أجريت فيها بعض التنقيبات التي بيّنت في بعض أجزاء سور المدينة لا سيما الشمالي منها أساسات عائدة إلى العصر الهلنستي قائمة تحت سور المدينة الذي يعود إلى العصرين الروماني والبيزنطي (بالتي ، 2004، صفحة 239).

وتألفت أنطاكيا من أربعة أحياء – كما يذكر استرابون– ولكل حي سور خاص به، إضافة إلى سور يحيط بالأحياء الأربعة، لكن تهدمت هذه التحصينات عندما ضعفت الدولة السلوقية (Will, 1989, p. 229). وفي العصر الروماني قام الإمبراطور تيبيريوس ببناء سور حول أنطاكيا ضم أحياء العصر السلوقي (Will, 1994, pp. 1- 43)

وعندما تأسست مدينة رأس ابن هاني على الساحل السوري حُصنت بأسوار منيعة وبحجارة كبيرة في الجزء الشرقي من المدينة لتعطي نموذجاً عن التصورات العمرانية والدفاعية خلال القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد (لوريش، 2004، صفحة 146).

وأعطت التنقيبات الكثير من المعلومات حول وجود أسوار عائدة إلى العصر الهلنستي، وقد شهدت هذه المدينة صراعاً كبيراً بين البطالمة والسلوقيين حيث سقطت في أواخر القرن الثالث قبل الميلاد بيد البطالمة، وقام الملك بطليموس الثالث بتحصين أسوارها بالأبراج المربعة الشكل على شكل حرف (U)، وبعد أن استعادها السلوقيين قام الملك أنطيوخس الثالث ببناء قلعة في الزاوية الشمالية الشرقية من الموقع التي تعرضت إلى التدمير خلال العصر الروماني (عبد الكريم، 2013–2014، صفحة 37).

وتميزت مدينة دورا أوروبوس على مجرى نهر الفرات بمميزات دفاعية واضحة، كالقلعة المنيعة المعزولة عن المدينة، وأسوار تتطابق مع الجرف الصخري في الشرق والواديين الصغيرين المحيطين بالمدينة من الشمال والجنوب، إضافة إلى الجدران الضخمة المستقيمة المدعمة بأبراج مربعة من جهة الهضبة.

المرحلة الثانية: تمتد من بداية العصر الروماني منتصف القرن الأول قبل الميلاد حتى القرن الثالث الميلادي، شهدت سورية خلالها نهضة عمرانية بسبب السلام الروماني إذ تبدل نظام الحماية في هذه المرحلة من نظام التحصينات والأسوار والحماية إلى نظام حماية حدود الدولة ولم تحظ أسوار المدن خلال هذه بالاهتمام الذي كانت عليه في المرحلة الأولى، فاعتمدت نظام حماية المراكز العسكرية الحدودية، أما حماية المدن داخل الدولة فقد تكفلت بها الفرق العسكرية الموزعة في مناطق مختلفة في سورية، حيث تمركزت بجوار المدينة كالفرقة المتمركزة في الضمير شرق مدينة دمشق، ورافاني غرب حمص والفرق العسكرية المتمركزة بجوار سيروس في وادي عفرين[4].

وتم تنظيم هجومي ابتداء من عهد الامبراطور ترايانوس مدعماً بمراكز عسكرية متتالية على طول الحدود مع الدولة البارثية في بلاد فارس.

وعندما أصبحت بصرى عاصمة الولاية العربية سنة 106م، أقيم السور في الجهة الغربية على أساسات نبطية يضم جداراً ضخماً على الطريق المحوري للمدينة.

أما أسوار مدينة شهبا فقد بنيت في عهد الامبراطور فيليب العربي 244 م كانت شبه مربعة مدعمة بالأبراج ولها أربعة أبواب محصنة.

المرحلة الثالثة: تبدأ من منتصف القرن الثالث للميلاد حتى الفتوحات الإسلامية في القرن السابع الميلادي. تبدل نظام الحماية بسبب كثرة الأعمال الهجومية التي قام بها الساسانيون خاصة بعد تدمير مدينة دورا أوروبوس سنة 256 للميلاد، وتدمير مدينة تدمر من قبل أورليان سنة 273 بعد أن لعبت دورا في الدفاع من جهة الشرق ضد الساسانيين في عهد الملك أذينة الثاني مما

تطلب إضافة مراكز عسكرية جديدة إلى الخط الذي امتد من أعالي نهر الفرات شمالاً حتى حوران جنوباً، وأصبح هذا الخط ذا طبيعة دفاعية بعد أن كان ذا طبيعة هجومية (Leriche, 1989, pp. 267-282) خاصة في بصرى وتدمر.

وهناك أسوار مدينة سيروس التي لا تزال أسوارها ظاهرة للعيان حتى الآن، وقد تم إجراء عدة أسبار بهدف معرفة تاريخها وتخطيطها الذي ينسجم بشكل كامل مع طبوغرافية الموقع (هضبة)، إن هذه الأسوار المدعمة بالأبراج تعود إلى العصر البيزنطي، ربما جاءت على تخطيط هلنستي، ولكن التنقيبات لم تثبت ذلك بعد (عبد الكريم، 2008، صفحة 111).

واعتمد الامبراطور جوستنيان، الذي أعاد تحصين المدن الكبيرة والصغيرة، على الغساسنة في سورية الجنوبية لمواجهة المناذرة في العراق المدعومين من الساسانيين.

لا تزال حتى الآن الكثير من بقايا هذه التحصينات والأسوار قائمة في المدن السورية، كما لاتزال النقاشات في الأوساط العلمية الأثرية والتاريخية حول فكرة أن تكون أسوار المدن السورية خلال العصرين الروماني والبيزنطي قد بنيت على أساس الأسوار العائدة إلى العصر الهلنستي، ولا يعني وجود الآثار الهلنستية، في بعض النقاط من الأسوار أن تكون الأسوار الرومانية والبيزنطية قد جاء تخطيطها بشكل كامل على تخطيط من العصر الهلنستي.

لأن الأحداث التي عاشتها سورية خلال العصور المختلفة لعبت دوراً أساسياً في تغيير شكل المدن السورية إضافة إلى التوسع في المدن أثناء النهضة العمرانية في العصر الروماني، مما استدعى إعادة تخطيط هذه المدن بالتالي تبدل في التحصينات والأسوار.

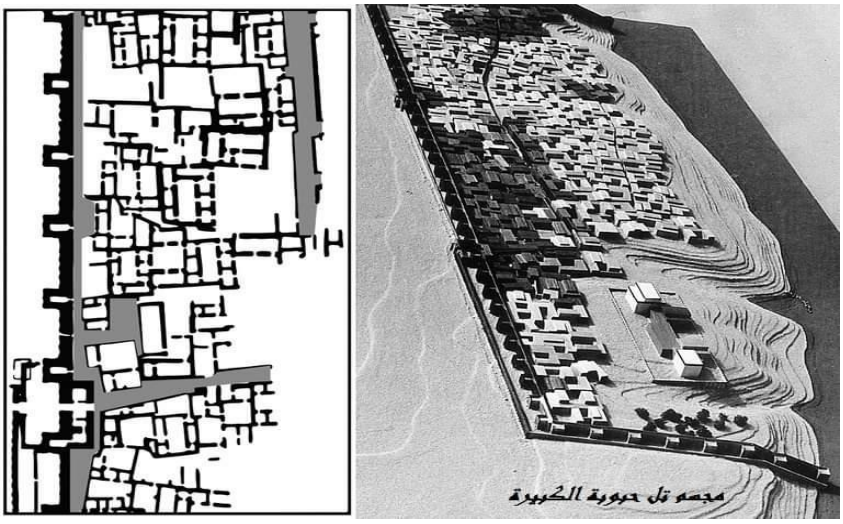
الخلاصة:

شكلت التحصينات المتمثلة بالأسوار والسواتر والخنادق والبوابات المدعمة بالأبراج الدفاعية عامل أمان، خاصة بعد ازدياد سكان المستوطنات وتوسعها والصراع الذي قام بين هذه المستوطنات، كانت قرى أو مدن، لتوسيع مناطق نفوذها الاقتصادي والعسكري والسياسي. وظهرت هذه التحصينات بشكل واضح في العصر الحجري النحاسي ، وذلك بقيام السواتر الترابية أو الخنادق والأسوار، وتطورت أنظمة التحصينات والدفاع خاصة في عصر فجر التاريخ حيث انتشرت المجتمعات المركبة (المعقدة) ثم في العصور التاريخية وقيام ممالك المدن حيث كانت التحصينات من سمات المدن، وتطلب القيام بهذه الأعمال الضخمة إلى أعداد بشرية كبيرة بالتالي تنظيم عمل هذه المجموعات البشرية العاملة وتأمين مستلزمات العمل اقتضى وجود قوة وسلطة قوية يكون أمرها مطاع وملزم ، وهذا ما تحقق بعد قيام السلطات والممالك حيث أُحيطت المدن بسور أو سورين وأحياناً أكثر من ذلك، كما هو في مملكة ماري وتل الروضة ، وغالباً كانت هذه الأسوار تسبق بساتر ترابي بارتفاعات عالية، ويخترق هذه التحصينات بوابات محصنة من جهات مختلفة كما هو في مملكة قطنة وإبلا، وتزود هذه الأسوار بأبراج دفاعية وأحياناً على مسافات متساوية (حبوبة الكبيرة).

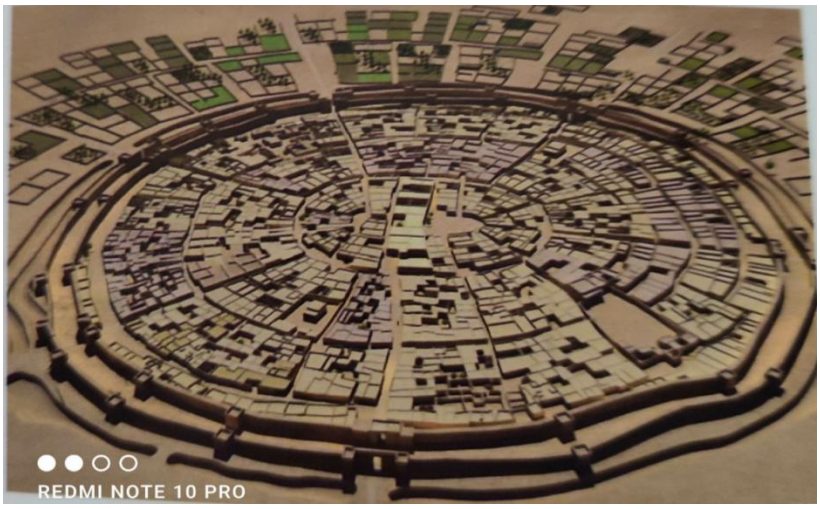
وكانت هذه الأسوار تساير مخطط المدن، فقد تغير مخطط أغلب المدن في سورية مع بداية الألف الثاني قبل الميلاد (عصر البرونز الوسيط) وانتقل من الشكل الدائري إلى الشكل المضلع، باستثناء مدينة في ماري في تل الحريري حيث حافظت على الشكل الدائري وبالتالي بقي شكل السور دائرياً يساير مخطط المدينة. وكثيراً ما تغنى الحكام الآراميون بمدنهم المحصنة والتي أعاقت تقدم العدو وسهل مهمة الدفاع وأمنت ملاذاً آمناً (آرام حماه).

وفي العصور الكلاسيكية حصنت المدن الهلنستية خاصة في مرحلة الصراع بين الإغريق (السلوقيين) والبارثيين ثم الصراع بين الدولة الرومانية والبارثيين ثم الساسانيين، لكن بعد سقوط دورا أوروبوس وتدمر اللتان كانتا تشكلان خط دفاع بوجه مد الباريثيين ثم الساسانيين انتقل شكل الدفاع عبر قيام نقاط عسكرية ثابتة وتشكيل خد دفاعي امتد من الفرات شمالاً حتى حوران جنوباً.

الأشكال:



الشكل 1 سور مدينة حبوبة الكبيرة



الشكل 2 إعادة بناء افتراضية لكامل المدينة وتظهر الأسوار المحيطة



الشكل 3 التحصينات في مدينة ماري





الشكل 4 تطور التحصينات في قطنة (تل المشرفة)





الشكل 5 مدينة إبلا (تل مرديخ)



الشكل 6 البوابة الغربية في أوجاريت (رأس الشمرة)

معلومات التمويل : هذا البحث ممول من جامعة دمشق وفق رقم التمويل (501100020595).

المراجع:

1. بيتر اكرمانز. (2018). تل صبي أبيض، تاريخ سورية في مئة موقع أثري. (يوسف كنجو، المترجمون) دمشق.
2. بيير دومينيك. (20–25 نيسان). مباني عصر الوركاء في وادي الخابور الأوسط على ضوء التنقيبات الفرنسية في تل مشنقة. وقائع المؤتمر الدولي الجزيرة والتراث والحضارة والصلات المتبادلة. دير الزور.
3. بيير لوريش. (2004). الظاهرة العمرانية في سورية الهلنستية، المدينة في سورية وأقاليمها – المورثات والمتحولات. (محمد دبيات، المترجمون) دمشق.
4. جان شارل بالتي . (2004). تحولات واستمراريات الفضاء العمراني، منذ التأسيس الهلنستي وصولاً إلى المدينة الرومانية – البيزنطية، المدينة في سورية وأقاليمها: المورثات والمتحولات،. (محمد دبيات، المترجمون) دمشق.
5. جون وديفيد أوتيس . (1989). نشوء الحضارة. (لطفي الخوري، المترجمون) بغداد.
6. سبتينو موسكاني. (1986). الحضارات السامية القديمة. (بدر يعقوب، المترجمون) القاهرة.
7. علي أبو عساف. (1988). آثار الممالك القديمة في سورية. دمشق.
8. عيد مرعي. (2021). تاريخ سورية القديم وآثارها وحضارتها. دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب.
9. فنون وآثار مملكة قطنا القديمة سبع سنوات من التعاون السوري – الإيطالي في موقع المشرفة/ قطنا. (بلا تاريخ).
10. كورين كاستل ، و نظير عوض. (2017). تل الروضة، تاريخ سورية في مئة موقع. دمشق.
11. مأمون عبد الكريم. (2008). أسوار المدن السورية من العصر الهلنستي إلى الفتح الإسلامي. مجلة دراسات تاريخية، العددان 101–102، صفحة 111.
12. مأمون عبد الكريم. (2013–2014). آثار بلاد الشام خلال العصور الكلاسيكية. دمشق: جامعة دمشق.
13. التونسي وآخرون. (2013-2014). آثار بلاد الشام القديمة. دمشق: جامعة دمشق.

14. Beyer , D. (1997). Tell Mashnaqa Chronique Archéologique en Syrie (Vol. Voll 11). DGAM.
15. Edward, L. E. (2000). The linguistic geography of Syria in iron age II (1000-600 B.C. ANES.
16. Gibson , M. (2002). First Season of Syrian-American Investigation at Hamoukar- Hasekh province (Vol. vol 64). Iraq.
17. Leriche, P. (1989). les fortifications grecques et romaines en Syrie, Archéologie et histoire de la Syrie. Sarrebruck.
18. Matthae, P. (1980). Ebla, An empire rediscovered. London, Torento.
19. Matthews. (1998). Tell Brak. Chronique Archéologue en Syrie, Voll 11.
20. Mazzoni, S. (1999). Tell Afis its region in the Late Cha.
21. Strommenger , E. (1980). Habuba Kabira ein Stadr von 5000. Jahren: Mainz.

22.Will, E. (1989). Antioche sur L'Oronte, Métropole de L'Asie. Syria, p. 229.
23.Will, E. (1994). Damas antique. Syria, pp. pp 1-43.
24.Woolley , L. (1955). Alalakh an account of the excavations at Tell Atchana, 1057,1937, 1049,. Oxford.

[1] - بلوات حالياً تل يقع شرق الموصل، شيّد فيه آشور ناصر بال الثاني ملك آشور قصراً ملكياً أقام فيه واستخدمه ابنه شلمنصر الثالث. غطيت بوابات القصر المصنوعة من خشب الأرز بشرائط برونزية نقشت عليها مشاهد نافرة لمعارك حربية، ورد اسم الموقع في النصوص الآشورية بصيغة أمغور انليل.

[2] - دابيجو مدينة ضمن أراضي مملكة بيت عديني.

[3] - يقع تل عشترة في محافظة درعا قرب وادي اليرموك، نقب في ستينات القرن العشرين من قبل علي أبو عساف.

[4] - بنيت مدينة سيروس في شمال غربي مدينة حلب في وادي عفرين لحماية الطريق بين أنطاكيا وشمال بلاد الرافدين، تميزت بموقعها الاستراتيجي حيث لعبت دوراً مهماً كمركز لقيادة الحملات والجيوش ضد البارثيين في الشرق.